حسن توفيق – سيرة ومسيرة

بينما كانت الحرب العالمية الثانية تحصد أرواح ملايين البشر ، كان هناك ملايين آخرون يولدون، ومن بين هؤلاء ولد طفل مصري ، اسمه كاملا حسن توفيق محمود محمد ، وقد ولد في أحد أحياء القاهرة الشعبية وهو حي شبرا يوم ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، وفيما بعد – عندما كبر – أحس بالنشوة تغمر روحه حين اكتشف أن الشاعر الكبير الذي أعجب به أيما إعجاب وهو الدكتور إبراهيم ناجي كان قد ولد هو أيضا في حي شبرا ،لكنه ولد في آخر يوم من أيام القرن التاسع عشر الميلادي.

في الخامسة من عمره شاهد الطفل بنفسه عمليات طلاء فوانيس الغاز المعلقة في الشوارع باللون الأزرق ، ثم أخذ يستمع كل صباح وهو في طريقه إلى المدرسة الابتدائية إلى أغنيتين كانتا تذاعان باستمرار، هما يا مجاهد في سبيل الله – جاء اليوم اللي بتمناه بالعامية المصرية وأخي جاوز الظالمون المدى وهي بالفصحى ، وكانت الأغنية والقصيدة تغمرانه بالنشوة وبالحماسة وبنوع من الطرب التلقائي الذي يدفعه لمحاكاة ما سمعه في الأداء ، لكنه لم يكن يعرف أن الجيوش العربية قد خاضت في فلسطين حربا ضد العصابات الصهيونية وأن هذه الجيوش قد ذاقت مرارة الهزيمة القاسية .

تلقى تعليمه الإعدادي في مدرسة السيدة حنيفة السلحدار الإعدادية بشبرا ، وفيما بعد عرف أن السيدة حنيفة كانت سيدة ثرية ولم يكن لها أبناء، ولهذا تبنت طفلة كانت مخطوفة من تركيا ، هي الشاعرة جليلة رضا، وقد قرأ الطفل ديوانا كان قد صدر لتلك الشاعرة وهو اللحن الباكي كما قرأ عن طريق مكتبة المدرسة مجموعة كبيرة من كتب المغامرات والرحلات ، وكان متفوقا على كل زملائه في مادة اللغة العربية لكنه كان يرسب باستمرار في مادة الرياضة والحساب .

تلقى تعليمه الثانوي في مدرسة روض الفرج الثانوية، وكان اسمها قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ مدرسة الأمير فاروق الأول ، وكان ممن تعلم على أيديهم خلال تلك المرحلة أستاذ اللغة العربية وهو الشاعر كمال نشأت – الدكتور فيما بعد ، وماهر ميخائيل أستاذ اللغة الإنجليزية الذي أهداه مجموعة كبيرة من دواوين الشعراء الإنجليز من بينهم إليوت ووليم بتلر ييتس وأودن ولوي ماكنيس ، وذلك لتشجيعه في محاولاته غير الناجحة لكتابة قصائد باللغة الإنجليزية، أما مكتبة المدرسة فقد أتاحت له فرصة التعرف على رواد الشعر الحر من خلال مجلة الآداب البيروتية التي كانت تصل المكتبة بانتظام ، وهكذا حفظ حسن توفيق قصائد أنشودة المطر ومدينة بلا مطر وعرس في القرية لبدر شاكر السياب وقصائد أخرى عديدة لصلاح عبد الصبور ونازك الملائكة وخليل حاوي ونزار قباني ، كما حفظ عن ظهر قلب معظم قصائد ديوان وراء الغمام للدكتور إبراهيم ناجي ، وما يزال يعتز بالنسخة التي يقتنيها من هذا الديوان لأن ناجي كان قد كتب على صفحتها الأولى إهداء بخط يده لحضرة صاحب العزة عبدالحميد بك خضر مفتش وزارة المعارف العمومية – ٢٦ مايو ١٩٣٤.

تلقى تعليمه الجامعي بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة القاهرة ، حيث حصل على ليسانس الآداب في يونيو سنة ١٩٦٥ وخلال تلك المرحلة سعد برعاية وتشجيع أساتذته فيما يتعلق بفن الشعر ، ومن أساتذته الذين يدين لهم بالحب والولاء الدكتورة سهير القلماوي والدكاترة شوقي ضيف وشكري محمد عياد ويوسف خليف الذي كان شاعرا رومانسيا رقيقا وحسين نصار وعبد الحميد يونس وعبد المحسن طه بدر الذي كان يسمح لتلميذه بأن يزوره في بيته بالمعادي حيث تعرف على أدباء كثيرين ، منهم غالب هلسا وسليمان فياض ومحمد أبو المعاطي أبو النجا وعبد الجليل حسن، وما تزال صداقاته مع أبناء دفعته ممتلة ووطيدة منذ سنة التخرج – ١٩٦٥ – حتى الآن ومنهم من أصبحوا مرموقين مثل الدكتور جابر عصفور والدكاترة يوسف حسين بكار وإبراهيم السعافين وأحمد أبو مطر والكاتب الناقد فتحي عبد الحافظ .

بدأ يتعرف بشغف على عالم الصحافة عموما والصحافة الأدبية خصوصا وهو ما يزال طالبا جامعيا ، وهكذا توثقت صلاته بالكاتب الصحفي أحمد بهجت وأصبح يتردد على مبنى جريدة الأهرام القديم ، واستطاع أن يلتقي بصورة منتظمة مع الدكتور لويس عوض والفنان الشامل صلاح جاهين وشعراء العامية الذين كانوا يترددون على صلاح جاهين ومنهم عبد الرحمن الأبنودي وسيد حجاب وعبد الرحيم منصور ،ومن خلال تواصله مع هؤلاء أخذ يكتشف الفارق بين ما يكتبونه من قصائد مرتبطة بالواقع وما يكتبه هو من القصائد الغارقة في رومانسيتها .

كانت للطالب الجامعي وقتها جولات منتظمة لزيارة سور الأزبكية القديم حيث استطاع أن يقتني مجموعة كبيرة من أعداد مجلة أبولو ، فضلا عن الطبعات الأولى من دواوين شعراء تلك الجماعة ، ومنهم محمود حسن إسماعيل وحسن كامل الصيرفي وصالح جودت وعلي محمود طه ، وخلال تلك الفترة تعرف على نجم أدبي شهير ما لبث أن أصبح صديقا حميما له وهو الكاتب والناقد رجاء النقاش .

بعيدا عن أسوار الجامعة ، كان حسن توفيق من المشاركين في الأمسيات الشعرية الأسبوعية التي كانت الجمعية الأدبية المصرية تعقدها ، وكذلك شارك في العديد من الأمسيات التي كانت دار الأدباء تنظمها في مقرها بشارع القصر العيني ، وكان واحدا من الرواد الدائمين لمقهى ريش الشهير بشارع طلعت حرب حيث كان العملاق نجيب محفوظ يعقد ندوة أسبوعية مساء كل يوم جمعة ، وكان مرتادو تلك الندوة ممن كانوا يعرفون ب أدباء الستينيات ، ومن هؤلاء أمل دنقل ويحيى الطاهر عبد الله وإبراهيم أصلان وممن كانوا يقيمون في مصر وقتها الشاعران عبد الوهاب البياتي ومحمد الفيتوري .

بدأ ينشر قصائده منذ سنة ١٩٦٣ حيث نشر عددا منها في مجلة الشعر القاهرية التي كان يرأس تحريرها الدكتور عبد القادر القط كما نشر في مجلة الآداب البيروتية، ثم أخذت قصائده تتوالى في النشر على صفحات مجلة المجلة بتشجيع من الكاتب الكبير يحيى حقي ومن بعده الدكتور عبد القادر القط الذي خلفه في رئاسة تحرير المجلة .

سجل – بعد تخرجه في الجامعة – رسالة الماجستير سنة ١٩٦٦ لكن مغريات الساحة الثقافية والفنية التي انغمس فيها لم تمكنه من إنجازها إلا سنة ١٩٧٨ حيث حصل على الماجستير بتقدير ممتاز عن أطروحته : شعر بدر شاكر السياب – دراسة فنية وفكرية ، وقد صدرت تلك الدراسة في بيروت خلال نفس تلك السنة . واعتمد عليها باحثون أكاديميون في جامعات عربية عديدة ، وأعيد

طبعها مرة ثانية في عمان ، كما أنها على وشك الصدور في طبعة جديدة ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة في مصر .

عمل بعد تخرجه في الجامعة مديرا لمكتب الشاعر العظيم صلاح عبد الصبور والذي كان وقتها مديرا عاما للنشر بالهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – الهيئة العامة للكتاب فيما بعد ، كما عمل محررا بمجلة الفكر المعاصر التي تناوب على رئاسة تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود والدكتور فؤاد زكريا وله كتابات نقدية عديدة على صفحات تلك المجلة، وعمل لمدة سنتين في دار الكتب المصرية ،ثم عمل في الهيئة العامة للفنون حتى سنة ١٩٧٩ .

اختاره رجاء النقاش ضمن من اختارهم للعمل معه في جريدة الراية القطرية منذ سنة ١٩٧٩ وهي الجريدة التي ظل يعمل بها رئيسا للقسم الثقافي طيلة ثلاثين سنة ، حيث عاد إلى وطنه مصر منذ يوم ٥ يوليو سنة ٢٠٠٩ ليتفرغ للكتابة الأدبية .

حصل على جائزة الدولة التشجيعية في الشعر عن ديوانه انتظار الآتي سنة ١٩٩٠ بإجماع أعضاء لجنة التحكيم وهم الدكتور عبد القادر القط والدكتور يوسف خليف والدكتور محمود مكي والشاعر فاروق شوشة .

حصل على جائزة أفضل قصيدة من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري سنة ١٩٩١ وذلك عن قصيدته السندباد والرحلة الجديدة التي كانت قد نشرت في الملحق الأدبي لجريدة الأهرام ، ثم اشتمل عليها فيما بعد ديوانه ليلى تعشق ليلى .

أصدر أول ديوان له سنة ١٩٦٩ بعنوان الدم في الحدائق –انظر العطاء الأدبي للشاعر.

أصدر كتابه النقدي الأول ضمن سلسلة المكتبة الثقافية بعنوان اتجاهات الشعر الحر سنة ١٩٧٠ وقد كان استقبال هذا الكتاب من جانب الساحة الأدبية استقبالا جميلا متحمسا .

عضو الجمعية الأدبية المصرية منذ سنة ١٩٦٦ وقد رشحه لعضويتها كل من الدكتور عبد الغفار مكاوي وصلاح عبد الصبور وفاروق خورشيد ، وخلال تلك المرحلة كان يساهم مساهمة فعالة في تحرير مجلة الأدب الشهرية التي كان يصدرها شيخ الأمناء أمين الخولي .

عضو اتحاد كتاب مصر منذ بداية تأسيسه حتى الآن .

ترجمت قصائد من شعره إلى اللغات الأسبانية والإنجليزية والروسية والأوكرانية ، حيث قامت المستعربة الأسبانية الدكتورة كارمن رويث برافو بترجمة ونشر قصائد من ديوانه ما رآه السندباد في مدريد، كما قام الدكتوران محمد شاهين –الأردن وعبد الواحد لؤلؤة – العراق بترجمة مجموعة من قصائده إلى الإنجليزية ، وقام المستشرق الأوكراني البروفيسور فاليري ريالكن بترجمة مجموعة من قصائده إلى اللغتين الروسية والأوكرانية .

زار العديد من الأقطار العربية للمشاركة في ملتقيات ومهرجانات أدبية وثقافية كما زار عدة دول أوربية للمشاركة في مشروع كتاب في جريدة الذي يصدر بالتعاون مع منظمة اليونسكو و كذلك للمشاركة في بعض دورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، وزار اليابان سنة ١٩٩٨ لمدة أسبوعين بدعوة من وزارة الخارجية اليابانية ، حيث سجل انطباعاته

عن تلك الزيارة التي شملت طوكيو والعاصمة القديمة كيوتو وهيروشيما ونجازاكي ، فضلا عن لقاءاته مع أشهر الشعراء اليابانيين ، وقد تمت ترجمة تلك الانطباعات إلى اللغة اليابانية ، وله كتاب يصنف على أنه من كتب أدب الرحلات ، ويضم معظم ما كتبه عن تلك الزيارات والرحلات ، والكتاب بعنوان رحلات شاعر عاشق – مع الشعر والحب في الشرق والغرب .

زار أوكرانيا تلبية لدعوة من جامعة عالم الشرق ، حيث ألقى محاضرة عن واقع الأدب العربي في قسم اللغة العربية بتلك الجامعة وذلك في شهر أبريل سنة ٢٠٠٦ وقد نشرت إحدى أشهر الجرائد اليومية الأوكرانية ترجمة لتلك المحاضرة شغلت مساحة صفحة كاملة .

كتب أستاذه صلاح عبد الصبور مقدمة لديوانه الدم في الحدائق ، كما كتب الدكتور عز الدين إسماعيل دراسة عن شعره ، تصدرت ديوانه أحب أن أقول لا .

كتب كثيرون من النقاد والشعراء والصحفيين عن شعره وعن كتبه النثرية ، ومن هؤلاء الدكتور شكري محمد عياد –الدكتور يوسف حسين بكار –الدكتور كمال نشأت –الدكتور ماهر حسن فهمي – فاروق شوشة – الدكتور أحمد أبو مطر – علاء الديب – إقبال بركة – فاروق خورشيد –أنيس منصور – صالح جودت –الدكتور رياض عصمت ... وسواهم .

اهتمت مواقع عديدة بنشر وإعادة نشر قصائده على الشبكة العنكبوتية –الإنترنت .

له موقع رسمي على الإنترنت بعنوان : مجنون العرب – موقع الشاعر والكاتب حسن توفيق ، وله مدونتان شخصيتان إحداهما ضمن مدونات مكتوب والمدونة الثانية ضمن مدونات إيلاف .

www.magnoonalarab.com
magnoonalarab.maktoobblog.com
hassan66.elaphblog.com

obeikan.com